وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي يثمر من الحالة فهي العلم بان الله مطلع على
الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه
مكشوف كما ان ظاهر البشر للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني
انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استجرت القلب الى مراعات جانب الرقيب
وصرفت همته اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب
اليمين اما الصديقون فمراقبتهم مراقبة التعظيم والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة
الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع ما للالتفات الى الغير اصلا ومن نال هذه الدرجة
فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم
به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني
ومن صار الهم الذي صار همه هما واحدا كفاه الله سائر الهموم ولا يستبعد هذا فانك تجد نظيره في القلوب
المعظمة لملوك الارض بل قد يستغرق بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي
وربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى [illegible] وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زماننا هذا رجلا
قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل
عتبة الغلام فقال عبد الواحد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق
فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا ومر يحيى بن زكريا بامراة فدفعها على وجهها فقيل
له لم فعلت فقال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد
جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى فقلت انت وحدك فقال
معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هولاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار
نحو السماء فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك هذا كلام من هو من الله تع
لا تكلم

لاتتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه وقال ابن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة (اسم موضع) للقاء ابي
علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا
قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت على صور وانا
جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا شخصان قاعدين
مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجابا فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت
بالله الا رددتما على السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي وقال يا ابن خفيف
الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل
شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا فاخذ بكليتي فنظر الي وطأطأ راسه في المكان فبقيت عندهما
حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني
فرفع راسه وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما
ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث
قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بوعظهما فرفع الشاب راسه وقال يا ابن
خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله
ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجات المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال
والتعظيم فلم يبق لهم متسع لغير ذلك ومنهم مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالهم فانها
مقصورة على القلب واما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن
المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا تحتاج الى تدبر وتثبت
على حفظها على سنن السداد فان القلب اذا صار مستوفى بالمعبود صارت الجوارح
مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف اما اصحاب اليمين فهم قوم غلب

Copyright © King Saud University